جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

المرحلة : الأولى

المادة : الأدب العربي قبل الإسلام

عنوان المحاضرة : النثر الجاهلي ( سجع الكهان )

مدرس المادة : أ.م.د. بشّار سَعْدي إسْمَاعِيل

العام الدراسي 2025 / 2026

# سجع الكهان :

اقترنت ظاهرة سجع بطبقة من الرجال كانوا في العصر الجاهلي يشغلون الوظائف الدينية الوثنية في أماكن العبادات وبيوت الآلهة . وكان يطلق على أحدهم اسم الكاهن والجمع كُهان وكهنة . وقد يطلق عليهم اسم الحازي أيضا والجمع حزاة وعرفوا بأسماء أخرى متعددة قد تكون مرادفة لكلمة كاهن أو وظيفة تكافئها داخل المعابد فهناك السادن والحاجب والناسيء والمجيز ، وهي وظائف وثنية مثل القس والابيل والراهب في الوظائف المسيحية والحبر والرباني في اليهودية .

وعندما تذكر هذه الوظائف تتبادر إلى الذهن خطب أربابها ، ويقترن بالخطب اسجاعها ، فهذا النثر الفني هو وسيلتهم في التقرب إلى الجمهور يومئذ . لقد كان هذا النثر يخوض غمار الحياة الجاهلية من أدق وجوهها لأنه يمس الجانب الروحي من الأمة ، وهو جانب حساس جدا يتصل بحياة الناس اليومية في الصحة والمرض والأفراح والأحزان والفقر والغنى والسلم والحرب ، ففي جميع هذه الأحوال يحتاج الناس إلى الالهة وكهنتها كي يشعروا بالسلام النفسي عند اداء أية مهمة من المهمات مهما صغرت ، وبالأخص في مرحلة متقدمة من حياة البشرية إذ كل شيء يفسر تفسيرا غيبيا يعزى إلى قوى خارجية تتحكم في المصير الانساني ، مثل لجوء الناس إلى خدم الآلهة عند افتقادهم الأمن داخل نفوسهم ، ليباركوا لهم مشاريعهم أو يشهدوا عقد احلافهم أو حل مشكلاتهم أو منازعاتهم أو تتجاراتهم أو مناسباتهم الاجتماعية .

وليس غريبا أن يكون الكاهن احيانا كثيرة مساهما بنفسه في حرب كبيرة مثل ( يوم الكلاب الثاني ) الذي اشترك فيه كهنة ورجال دين كثيرون مثل اكثم بن صيفي ، والمأمور الحارثي كاهن بني الحارث بن كعب وضمرة بن لبيد الحماسي وكلاهما مذحجيان . والمأمور هو الذي سجع لهم ناصحا ألا يغزو بني تميم حينما طلبوا منه أن يقرأ لهم الغيب فقال : (( لا تغزوا بني تميم ، فإنهم يسيرون أغبابا ، ويردون مياها جبابا فتكون غنيمتهم ترابا ))

وقد كان الكهان يضعون في روع الناس أن لهم توابع من الجن يستشرفون لهم الغيب ، ويتطلعون إلى المجهول فيخبرون الكهان بالمستقبل قبل وقوعه وأن سجعهم كان يلقى عليهم القاء من تابعهم الذي يقال له ايضا رئي وصاحب وهو مثل رئي الشاعر وتابعه ، وقد تكهن أحد الحزاة بموت الشاعر ( أفنون التغلبي ) في موضع يقال له الآهة في الشام وصدقت النبوءة وهي قصة اوردتها المصادر .

وقد بلغ من تأثير الكهان أن القبائل كانت احيانا تثور على ملوكها فتقتلهم إذا سجع كاهنهم لهم بذلك وقصة مقتل حجر أبي امرئ القيس الكندي الشاعر خير مثال لذلك عندما سجع كاهنهم عوف بن ربيعة الأسدي فقال :

يا عبادي ، فقالوا : لبيك ربنا ... قال : من الملك الأصهب ، الغلاب غير المغلب ، في الابل كأنها الربرب لا يعلق رأسه الصخب . هذا دمه ينثعب ، وهذا غدا أول من يسلب . قالوا : من هو يا ربنا ؟ قال : لولا أن تجيش نفس جاشية ، لأخبرتكم أنه حجر ضاحية .

فركبوا كل صعب وذلول ، فما اشرق لهم النهار حتى اتوا على عسكر حجر فهجموا على قبته وقتلوه وكانوا قبل ذلك يعيشون أذلاء له مستضعفين ، حتى أنه كان ينتقي خير فتيانهم فيضربهم بالعصا حتى الموت فقيل لهم عبيد العصا . فلم تنفع قصائد عبيد بن الابرص في استنهاضهم وثورتهم بقدر ما نفعت سجعات كاهنهم .

ولم تنحصر الكهانة بالرجال بل كانت لهم كاهنات أيضا يستطلعن الغيب وينذرون اقوامهن بالغارة عليهم من لدن الأعداء كما فعلت زرقاء اليمامة ، والزرقاء بنت زهير ، وزبراء كاهنة بني رئام التي انذرت قومها بالغارة عليهم فقالت : (( واللوح الخافق ، والليل الغاسق ، والصباح الشارق ، والنجم الطارق ، والمزن الوادق ، إن شجر الوادي ليأدوا ختلا ، ويحرق أنيابا عصلا وإن صخر الطود لينذر ثكلا لا تجدون عنه معلا )) .

ومن ملاحظة النصوص المستشهد بها يظهر لنا أن السجع اتفاق بين حرف الروي في الكلمة التي تنتهي بها العبارة ، وبين حرف الروي في الكلمة التي تعقبها من العبارة التالية كما رأينا في ( الخافق ) و ( الغاسق ) و ( الشارق) و ( ختلا ) و ( عصلا ) وهكذا ، وقد يكون هذا الاتفاق في عبارتين ، وقد يكون أكثر من ذلك لكنه في جميع الأحوال لا يستمر إلى آخر القطعة وإنما تتغير احرف الروي بعد عبارتين أو أكثر دون التزام بنظام القصيدة التي تبقى احرف الروي فيها ثابتة إلى آخر القصيدة دون تغير .

كذلك نلاحظ في سجع الكهان أن عباراته قصار بخلاف ما نلاحظ في طول العبارة في نثر الخطب أو المنافرات وهي سمة تغلب على سجع الكهان وتميزه .

وتلفت نظرنا ظاهرة خاصة بالنثر الجاهلي ينفرد بها سجع الكهان ، هي اللغة الغامضة المؤلفة من لفظة غريبة شاذة ومعنى معقد شائك وعبارة صعبة مستقلة ، كأنما قصد بها قائلها إلى الاغلاق والابهام لكي يضع في وهم سامعه أنه يتلقى ذلك من مصدر مجهول ليضفي على نفسه صفة الغموض والغيبية حتى يكون في نظر جمهوره مقدسا مقصودا . فالابانة والوضوح والعقلانية صفات مناقضة للكهانة ، لذلك كان الكاهن يحرص على أن يكون كلامه حافلا بالثورية والمحسنات اللفظية كي يتحمل في تفسيره عدة أوجه ، وبذلك ينجو من افتضاح أمره ويبقى بعيدا دون أن يكشف زيفه . لقد كانت المرحلة والحياة الجاهلية آنذاك تقتضي مثل تلك المعتقدات ، لذلك سار على هذا النهج العرافون والعيافون والزاجرون وجميع هؤلاء كان ينظر اليهم أنهم ممن يقرؤون الغيب .

ويلاحظ على سجع الكهان كثرة القسم بظواهر الكون والطبيعة ، وماديات الحياة من بشر وحيوان ، ونبات وجماد وهذا القسم يمكن لنا عده من بقايا تقديس المادة لدى الوثنيين ، ثم هو يعكس لنا حب الانسان للوجود ونظرته الدينية الغيبية إليه ، وتأليهه لمحتواه وموجوداته .